مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 12/ العدد: 01 (2024)، ص: 707-724

الذكاء الاصطناعي ومشروع ما بعد الانسان، بين الو اقع والمخاوف

Artificial Intelligence and Post-human project between reality and fears

فريدة كافي[1]

[1] جامعة 8 ماي 1945 –قالمة-. الجز ائر

kafi.farida@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 22 /2023/11 تاريخ القبول: 2024/02/06 تاريخ النشر: 2024/03/03

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مفهوم الذكاء الاصطناعي وتاريخ ظهوره، وبعض ميادين استخدامه خاصة مجال اللغة، واختلاف المواقف بشأنه وتأثيره الكبير على مفهوم ا إنسان اليوم. خاصة وأن الآلة اكتسحت ميادين عديدة كان الإنسان يعتقد أنه لا منافس له فيها. فتطرقت إلى الحديث عن هشاشة التفاعل الاجتماعي وتراجع مفهوم التواصل بين البشر بمفهومه التقليدي، وتآكل ذاكرة الإنسان في ظل هيمنة التكنولوجيا الرقمية. وتنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها أن الذكاء الاصطناعي لا يمكن اعتباره مجرد "نشوة تكنولوجية" ينتظر الإنسان زوالها، بل على الإنسان اليوم تطوير نظرته إلى المستقبل وبناء منظومة فكرية وثقافية قادرة على مجابهة التغيرات التكنولوجية التي لا تكف عن التطور ولا مجال للهروب منها أو الرجوع إلى عصر ما قبل التكنولوجيا.

كلمات مفتاحية: الذكاء الاصطناعي، الوعي، الإنسان، الذاكرة، العقل، اللغة

Abstract:

This study aims to shed light on the concept of Artificial Intelligence and its history, as well as some of its applications, particularly in the field of language. It explores the varying perspectives on AI and its significant impact on the contemporary human understanding, especially as machines

have dominated many fields that were once thought to be exclusive to humans. The study discusses the fragility of social interaction and the decline of traditional human communication, along with the erosion of human memory in the era of digital technology domination. The underlying hypothesis of this study is that AI cannot be regarded merely as a “technological euphoria” awaiting human superseding, instead it emphasizes the need for humans today to develop their outlook on the future and construct an intellectual and cultural framework capable of confronting technological changes that continue to evolve, with no room for escape or a return to a pre-technological era.

Keywords: Artificial Intelligence, consciousness, human, memory, mind, language

***المؤلف المرسل:** فريدة كافي

1. المقدمة

في ظل هذه التحولات التكنولوجية التي بات يشهدها العالم اليوم، انصب اهتمام العلماء والمفكرين حول الأثر الذي أصبحت تحدثه هذه الاختراعات التقنية على تصورنا للعالم خاصة مع ظهور مع ما يعرف ب"الذكاء الاصطناعي" هذه الثورة التكنولوجية التي غيّرت مجرى التوقعات بشأن الكثير من القضايا فأصبح من الصعوبة بمكان التنبؤ بما يمكن أن يحدث في المستقبل خاصة وان تقنية الذكاء الاصطناعي سرعان ما تغلغلت في عمق الحياة اليومية للبشر مع غموض كبير في ماهية هذا الشيء غير المرئي مما زاد في حجم المخاوف بشأن استخداماته المرعبة في الكثير من الميادين، خاصة استخدامه في المجال العسكري وما يتعلق بالحروب، واستخدامه كبديل للإنسان، وهناك تكمن أهمية الموضوع.

هذا ما حذا بالبعض إلى الحديث عن نهاية الإنسان وإمكانية التخلي عن خدماته وأشغاله، لأن الروبوتات يمكن أن تعوضه في كل شيء حتى في الأمور التي تتعلق بحياته الخاصة كالعلاقات الحميمية، وبالتالي أصبح الخوف من زوال الهوية

والثقافة بل ومن تلاشي الجنس البشري، فهناك روبوتات للعمل، والتعليم، وفي مجال الإعلام كذلك، وهناك روبوتات في مجال الطب أصبحت قادرة على تعويض الإنسان حتى في أدق العمليات الجراحية.

وعلى الرغم من أن الإنسان لم يعرف التكنولوجيا اليوم فقط، فهناك مسار فكري طويل حتى وصلت الاختراعات والاكتشافات العلمية إلى ما هي عليه اليوم، إلا أن ثورة الذكاء الاصطناعي لم يسبق أن شهدها الإنسان من قبل، لأول مرة نتحدث اليوم عن ذكاء خارج العقل الإنساني، ليس هذا فحسب، بل عن إمكانية تفوق الذكاء الاصطناعي على الذكاء البشري، مما فسح المجال أمام العديد من التساؤلات التي تهدف هذه الدراسة إلى معالجتها

2.الإشكالية

هل يمثل الذكاء الاصطناعي تهديدا لإنسانية الإنسان وإعلانا لبداية نهاية الوجود البشري لتحل محله الآلة؟ أم أنه على العكس من ذلك يفتح فرصا وآفاقا لتحسين شروط وجوده؟

1.2 المشلات الفرعية

- ما هي الجذور الأولى لظهور الذكاء الاصطناعي؟
- هل يمكن أن تقوم هذه الآلات بعمليات عقلية كتلك التي يقوم بها البشر؟ وما هي التحديات التي تواجه الأنظمة الذكية في استخدام اللغة؟
- هل يمكن أن يلغي الذكاء الاصطناعي تلك الثنائية التي سادت الفكر حقبة زمنية طويلة تجسدت في تقسيم الموجودات في العالم إلى جوهر مفكر وامتداد مادي؟

3.في الجذور التاريخية لظهور الذكاء الاصطناعي

في الواقع، لا يمكن الحديث عن الذكاء الاصطناعي والحضارة الرقمية التي بات يعيشها الإنسان دون الرجوع إلى الجذور الأولى التي مهدت لظهور هذا العصر الرقمي.

1.3.في العصر اليوناني الكلاسيكي

مرّت البشرية بالعديد من المراحل التاريخية عاشت في كل مرحلة منها نوعا من التقدم الذي يعكس سعي الإنسان إلى تطوير أساليب حياته على هذا الكوكب، وعصر تدوين المعلومات والتواصل بين البشر ليس وليد اللحظة، بل يرجع إلى عصور سابقة خاصة منذ اختراع الكتابة في بلاد الرافدين، فمثّلت مدينة "أور" في العراق أكثر المدن تقدما في تلك الحقبة التاريخية، والى وقت متأخر جدا تقريبا ما بين 2003 و2011 كانت هناك الألواح الطينية في العراق التي تشهد على عراقة وتقدم هذه المدينة، ضمت هذه الألواح مجموعة من المعاملات التجارية وبعض الوثائق الإدارية، وهذا ما يمكّننا من القول أن هناك مرحلتين في التاريخ الإنساني: مرحلة ما قبل التأريخ، أي مرحلة ما قبل عصر التكنولوجيا والمعلومات، ومرحلة التأريخ التي تتمثل في التطور الكبير لتكنولوجيا الإعلام والاتصال (فلوريدي، 2017، صفحة 24)

ثم بعد ذلك واصل الإنسان تقدمه وتخطى عقبات جهله تدريجيا، فكل حضارة من حضارات العالم ساهمت في تشكيل جزء من معالم التقدم الانساني الى غاية اليوم، وبالنسبة إلى الذكاء الاصطناعي يعتقد الكثيرون أنه ظهر فجأة في الفترة الحالية، لكن الرجوع إلى تاريخ الاكتشافات العلمية يثبت عكس ذلك، فالذكاء الاصطناعي اختراع قديم، فكان فكرة مثالية راودت الناس قديما، ظهر أول مرة في الفترة الهيلنستية، وهي فكرة سادت اليونان قديما كرغبة (كما أشار احد المفسرين) في تشكيل آلهة، فظهرت فكرة الروبوتات الذكية والآلات التي تفكر منذ اليونان القديمة، فكانت الأساطير مثل أسطورة Talos of Crete وهناك العديد من الأفكار التي ظهرت في العصر الكلاسيكي حول الرجال الآليين، وآلات آخرى كما صممها المهندس اليوناني هيرو Hero وأفكار إسماعيل الجزري حول الآلات الميكانيكية للاوركسترا يمكن أن يحقق إنجازا علميا كما جاء في كتابه "عبقرية الأجهزة الميكانيكية (Elliott, 2019, p. 1)

كما نلمس بوادر فكرة الإنسان الذي يشبه الآلة لدى الفيلسوف اليوناني أرسطو الذي خصص الفيلسوف اليوناني أرسطو جزءا هاما من كتابه "السياسة" للحديث عن موضوع "العبودية" ويرجع هذا إلى نظرته الواقعية لمجتمعه في ذلك الوقت، وشأنه شأن أستاذه أفلاطون يرى أرسطو أننا نحن البشر مقسمون بحكم الطبيعة إلى طبقات، فهناك من هيأته الطبيعة لمهمة التفكير واتخاذ القرارات وهناك من هيأته للعمل الجسدي فقط، وبالتالي فهناك السيد وهناك العبد، وقد اهتم بمسألة العبيد في الجانب المتعلق بالاقتصاد والعمل التقني، والاقتصاد يحتاج إلى من يقوم بشؤونه والذي يقوم بهذه المهمة هو ما أسماه أرسطو "الآلات" "ومنها الآلة الحية التي ينضوي إليها العبد" (كتورة، 1987، صفحة 96)

وبالتالي فالعبد وفق منظور أرسطو لا يخرج عن كونه آلة يمتلكها السيد، فهي وسيلة حية يستخدمها في أي شيء وقتما يشاء، فالمهام التي يقوم بها العبيد مهام جسدية فقط كالآلات، وبالتالي فالعلاقة هنا هي علاقة إنسان بآلة إن الطبيعة الانثروبولوجية للعبد هي التي هيأته لهذه المهام، بل وظيفته التقنية والاقتصادية، وهناك يتعلق الأمر بمفهوم الإنسان ومفهوم الحرية عند أرسطو "فمن كان ملكا لإنسان آخر بمعنى التملك للآلة آو الأداة، لا يمكن اعتباره من هذا السبب بالذات عبدا بالطبع، لذلك جرى تحديد كل ملكاته وربطها بالمجال البدني" (كتورة، 1987، صفحة 101)

ليس هذا وحسب، بل ميز أرسطو بين البشر فهم لا يشبهون بعضهم، هناك بشر يتميزون عن البشر الآخرين كالفرق بين الجسد والروح، أو كالفرق بين الإنسان والحيوان، فالحيوان لا يمتلك ملكة التفكير فهو يستخدم جسده فقط، فهو لا يتذكر الماضي ولا يتصور المستقبل أو يخطط له، وبالتالي ليس للعبيد أي مؤهل أو فرصة للسيادة، وليس هذا فقط، فأطروحة أرسطو بلغت درجة كبيرة من الدقة في هذا الشأن، فإذا اعتبرنا أن الإنسان "حيوان ناطق" كما يرى أرسطو نفسه، فالنطق

هنا يأتي بمعنى العقل Logos وهذا لا نجده عند الحيوان أو الآلة، فالعبد كذلك لا يمتلك خاصية التفكير بحد ذاتها، ولكن يمكن التعامل معه من خلالها، فهو، بالتالي، يدرك الأمور على النحو الذي يحسها الحيوان (جورج، 1987، ص ص 103- 104)

2.3 في العصر الحديث

ومع مجيء العصر الحديث، وهو العصر الأقل اهتماما بالذكاء الاصطناعي، اتسم بسيادة النزعة الإنسانية، فكرة أن الإنسان مركز الكون وأن لا سلطة تعلو على سلطة العقل، ولعل أهم من ساهم في بلورة ملامح هذا العصر هو الفيلسوف الفرنسي رونيه ديكارت René Descartes (1596- 1650) وهو من أهم الفلاسفة الذين ساهموا في إرساء أسس تلك الثنائية التي سيطرت على الفكر لمدة طويلة، وهي ثنائية العقل/المادة، وبالتالي تقسيم العالم إلى طبيعتين عقلية ومادية تسيطر الأولى على الثانية، كائنات مفكرة وأخرى مادية لا تفكر فأعلن أن الآلة تعجز عن القيام بالأمور التي يقوم بها حتى اغبي الأشخاص، فهي مثلا لا تستطيع استخدام الألفاظ وتستجيب للمواقف المستجدة في الكلام، فلو وجدنا –مثلا- حيوانا أو آلة حسب المصطلح الذي يستخدمه ديكارت لأنه يرى أن الحيوانات عبارة عن آلات معقدة في تركيبتها، فلو وجدنا آلة ما تم صنعها بحيث تنطق مجموعة من الكلمات بواسطة منبهات في جسدها، مثلا كأن تلمس جزءا منها فتبدي كلمة معينة، لكن لا يمكن ان نتخيل أنه يمكنها أن تستخدم كلمات بشكل مختلف يطابق كل ما يقال لها كما يفعل أغبى البشر (ديكارت، 1985، صفحة 260)

لكن هذا لم يمنع من رغبة البشر في الحياة الميكانيكية في فترة مبكرة من التاريخ خاصة مع بدايات العصر الحديث الذي زاد فيه الجدل بشأن الآلات ووظيفتها وإمكانية تطويرها، فقد بدأ الفيلسوف الفرنسي بليز باسكال Blaise Pascal (1623-1662) من اختراع آلة ميكانيكية وهي آلة حاسبة، ثم طور هذا العالم الرياضي طيلة مسار حياته خمسين نموذجا أوليا، وعشرين نموذجا من

الآلات الحاسبة، فاعتبر غابي وودز Gaby Woods أن مصدر ولعنا بالروبوتات يمكن إرجاعه مباشرة إلى السعي الحديث المبكر للحياة الميكانيكية، فكان الجدل في هذا الوقت يتعلق بأحلام ووعود تكنولوجية ولّت لدى البشر رغبة في المزيد من التكنولوجيا على نطاق واسع في جميع الثقافات (Elliott, 2019, p. 2)

3.3 في الفترة المعاصرة

وفي القرن التاسع عشر، ظهرت الكائنات الاصطناعية في أعمال خيالية مختلفة، كرابطة بين العلم والمجتمع، كغزوات فرنكنشتاين العلمية من اجل نقل الحياة إلى أشياء غير حية في رواية ماري شيلي "فرنكنشتاين" أو مصنع الروبوتات في فيلم كاريل كابيك Karel Kapek الذي كان عنوانه "الروبوتات العالمية". وفي عصرنا هذا زاد الاهتمام أكثر بالذكاء الاصطناعي، وحاز هذا الأخير على تخصصات كثيرة منها علوم الكمبيوتر، والرياضيات، علم المعلوماتية، واللسانيات، وعلم الأعصاب، وجاء مصطلح اصطناعي في هذا السياق للدلالة على أنه يمكن صناعة آلات لتقليد أو محاكاة الذكاء البشري، من هنا التقارب بين الذكاء الاصطناعي والتكنولوجيات الرقمية بما في ذلك الروبوتات المتقدمة (Elliott, 2019, p. 2)

أما الإعلان الحقيقي بشأن الذكاء الاصطناعي وبشأن إمكانية تقليد القدرات البشرية في الذكاء فكان منذ منتصف الخمسينيات، عندما أسس عالم المكبيوتر الأمريكي جون مكّارثي John McCarthy إلى جانب مارفن مينكسي Marvin Minksy و هاربرت سايمون Herbert Simon إضافة إلى ألين نيويل Allen Newell ونظموا المؤتمر الأكاديمي الأسطوري في كلية دارتموث Dartmouth College في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان هناك جدل كبير بشأن الادعاءات بأن القدرات البشرية قابلة للتكرار من قبل الآلات الذكية في المستقبل، ومن بين الأسئلة الرئيسية التي أثيرت في هذا المؤتمر: ما هو الذكاء الاصطناعي على وجه التحديد؟ كيف يختلف الذكاء الاصطناعي عن الروبوتات

المتقدمة؟ ما الذي يجعل الآلة ذكية اصطناعيا؟ أم أنها على العكس من ذلك فهي للاستخدام فقط؟ كيف يمكن فصل الذكاء الاصطناعي عن الذكاء العضوي (Elliott, 2019, pp. 2-3)

طُرحت هذه الأسئلة في المؤتمر ولازالت تطرح إلى يومنا هذا خاصة مع المعطيات الجديدة التي والتطورات التي تنتج عن الذكاء الاصطناعي وأهم سؤال هو هل يمكن فعلا للآلة أن تفكر على نحو ما يفعل البشر؟

وعلى الرغم من فتح العديد من النقاشات والخلافات بين العلماء والمفكرين التي تتعلق خاصة بمسألة الوعي، واللغة والعقل، إلا أن التغطية الإعلامية المتزايدة للذكاء الاصطناعي جعلت منه كملة طنّانة لامعة ومشهورة Buzzword أحدثت ضجيجا كبيرا وأصبح أداة تسويقية لجذب انتباه العملاء ومختلف الشركات ووضعها في طليعة التقنيات الأكثر تطورا، وقد تم الخلط بين الذكاء الاصطناعي والروبوتات خاصة من خلال ما يُعرض في هوليوود وأحلامها التي جسدتها بعض الأفلام السينمائية كفلم "ترميناتور"، ورغم تلك الضبابية في مفهوم الذكاء الاصطناعي، إلا أنه في المملكة المتحدة وفي عام 2012 تم وضع "الوثيقة البيضاء" White Paper التي حددت الذكاء الاصطناعي باعتباره تقنيات تتمتع بالقدرة على أداء المهام التي كانت تتطلب الذكاء البشري مثل الإدراك البصري والإدراك اللغوي والترجمة (Elliott, 2019, p. 3)

4.مفهوم الذكاء الاصطناعي

الذكاء Intelligence و L'intelligence

على الرغم من أنه يصعب وضع مفهوم محدد للذكاء إلا أنه يمكن القول أنه إمكانية الفهم، والقابلية للتكيف، أي فهم العلاقات بين الأشياء والتكيف معها، والذكاء بالنسبة للإنسان يعني تفوقه على الحيوان الذي يعتمد على غرائزه فقط، لكن بعض نتائج بعض الدراسات أكدت أن لبعض الحيوانات سلوكات ذكية، أي أن النشاط الذهني لم يعد هو المعيار الوحيد للذكاء، فهناك أنواع أخرى من الذكاء،

وبالتالي ليست هناك درجات للذكاء وإنما هناك أشكال وأنواع من الذكاء (جلال الدين، 2004، ص 210) وهذا المفهوم ألقى الضوء على مسألة غاية في الأهمية، فالذكاء ودرجاته خاص بالإنسان دون سواه، لكن درجاته يمكن أن نلمسها لدى الحيوان، واليوم يمكن القول أن الآلة تطوّر نوع آخر من الذكاء.

وبشكل عام، يمكن تعريف الذكاء الاصطناعي كفرع من فروع التعلم الذاتي، كما يشمل كل نظام حوسبي يمكن أن يستشعر السياق الذي يكون فيه ويتفاعل بذكاء مع المعطيات أو البيانات، وبالتالي يمكن القول أن الآلات يمكن أن تصبح ذكية عند درجات معينة من التعلم الذاتي وهذا ما يمكن أن يحقق نوع من الوعي الذاتي، ولا يتسنى لنا الحديث عن هذا إلا عندما تتمكن الآلات من التصدي لعنصر المفاجأة (Elliott A. , 2019, p. 3) والحديث عن عنصر المفاجأة يعني إمكانية تكيف هذه الآلات مع المواقف المستجدة، هذه الحالة تسمح لنا بالقول أنها أصبحت تمتلك درجة معينة من الوعي، لكن هل وعي الآلة هو نفسه الوعي الموجود لدى البشر؟

5.الأنظمة الذكية ومسألة الوعي

إن ظهور هذه الحياة الرقمية غيّر الكثير في الثقافة العامة لدى البشر، خاصة فيما يتعلق بتصورنا نحن لمختلف الظواهر الإنسانية، أثّر هذا أيضا على حياتنا الخاصة، وعلى العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وعلى الرأي العام الذي أصبح أكثر انجذابا لكل ما هو رقمي. لكن هناك بعض القضايا التي تتعلق بالذكاء الاصطناعي وتطبيقاته ظلت موقع خلاف بين العلماء والمفكرين، أي أنه لم يتم قبولها بشكل تام ومنها موضوع الوعي: أي هل يمكن الحديث عن آلة واعية؟

5.1 جون سيرل وحجة الغرفة الصينية Chinese Room Argument

يرى الفيلسوف الأمريكي المعاصر جون سيرل John Searl (1932-) أن كل أنظمة الحاسوب عاجزة عن التفكير أو فهم اللغة على النحو الذي يستخدمه البشر، وتعتبر مفاهيم كالقصدية والوعي والعقل والإدراك من أهم المفاهيم التي

تتأسس عليها فلسفته وتصوره للإنسان بشكل عام، من أهم الفلاسفة المعاصرين الذين اهتموا بمسألة الذكاء الاصطناعي واللغة الإنسانية، حيث يقول:"إذ تأتي اللغة والمعنى على الأقل بالنسبة إلى الإنسان في مرحلة متأخرة من مراحل التطور، يوجد لدى كائنات غير إنسانية إدراكات حسية وأفعال قصدية، إلا أن الإنسان وحده صورة بيولوجية للقصدية ترتبط باللغة والمعنى" (سيرل، 2009، صفحة 203)

إذا كان الوعي هو القدرة على الاختيار بين الأفعال والأحاسيس والمشاعر، فإنه لأمر وارد أن تكتسب الآلات وعي، لكنه يتطور بطريقة مختلفة عن وعي البشر، ويمكن أيضا أن تطوّر أنواع من الذكاء يتفوق على الذكاء البشري، ففي مقابلة الشطرنج لم يشعر ألفاغو بالفرح أثناء هزيمته لأكثر لاعب شطرنج بشري مهارة في هذه اللغة، لكنه تفوق عليه حتى وان لم يستطع الإحساس أو الشعور بفرح الانتصار (هراري، 2023)

من خلال هذه التجربة نلاحظ أن الآلة مهما بلغت درجة ذكائها إن كنا نتحدث عن الذكاء بوصفة القدرة على حل المشكلات الصعبة، ومهما أبدت من مهارة إلا أنها لا تقدر على تكوين أحاسيس فهي غير واعية، ليس هذا وحسب، بل إن الحديث عن درجة معينة من الوعي بالنسبة للروبوتات وإن كانت درجة ضئيلة هو أمر غير ممكن، للحيوانات نوع معين من الوعي، لكنه ليس الوعي البشري الذي يختص به الإنسان دون غيره من الكائنات والموجودات، أكبر تحدّ يواجه الآلة أو أي نظام ذكي هو القدرة على تخيل المستقبل، وهذا يعني القدرة على تخيل أو تجاوز ما هو كائن في اللحظة الراهنة، وتجاوز ما هو في متناول الحواس، فالإنسان هو الوحيد القادر على تصور المستقبل "الوعي البشري هو شكل خاص من الوعي يخلق نموذجا للعالم ثم يماثله زمنيا، وذلك بتقييم الماضي من أجل تمثيل المستقبل، يتطلب هذا التعامل مع دارات تغذية راجعة عديدة وتقييمها بغية اتخاذ قرار لتحقيق هدف ما" (كاكو، 2017، صفحة 65)

وبالتالي، فإن الحديث عن وعي آو تفكير خارج العقل الإنساني غير ممكن ومن أجل إثبات موقفه هذا طوّر ما أسماه "حجة الغرفة الصينية" فقدم الحجة على النحو التالي:"تخيل متحدث طبيعي باللغة الانجليزية لا يعرف الصينية، محبوس في غرفة مليئة بالرموز الصينية (قاعدة بيانات) مع كتاب تعليمات للتلاعب بالرموز (برنامج)، تخيل أن الناس خارج الغرفة يرسلون له رموز صينية أخرى غير معروفة للشخص الذي هو داخل الغرفة، وهي أسئلة بالصينية (مدخل) وتخيل ذلك الرجل بإتباع التعليمات الموجودة في البرنامج يصبح الرجل الذي هو داخل الغرفة قادرا على حل الرموز الصينية التي هي إجابات صحيحة على الأسئلة (مخرج)، يمكّن البرنامج الشخص الموجود في الغرفة من اجتياز اختبار تورينغ لفهم اللغة الصينية لكن هذا الشخص لا يفهم ولا كلمة باللغة الصينية" (Elliott A. , 2019, pp. 6-7)

هذا الشخص المحبوس في الغرفة ومعه ما أسماه جون سيرل البرنامج الذي يحتوي على تعليمات تتعلق بكيفية التعامل مع تلك الرموز الصينية، فيبدأ هذا الشخص بالرد على الأسئلة الصينية بأجوبة مناسبة لها طبقا لكتاب التعليمات أي البرنامج دون فهمه لأي سؤال أو جواب باللغة الصينية، وبالتالي فهذا الشخص لا يختلف عن أي حاسوب آخر في التعامل مع مدخلات معينة وصولا إلى مخرجات مناسبة لها، دون فهم أي دلالة لغوية، هو مجرد تحريك رموز لا أكثر. وبالتالي توصل جون سيرل من خلال تجربته هذه إلى نتيجة مفادها أن أنظمة الحاسوب لا تحتوي على أي فهم واع أو عقل أو ذكاء على نحو الذكاء البشري، كل ما هناك هو عملية محاكاة محدودة للذكاء البشري.

5.2. نعوم تشومسكي وحدود الذكاء الاصطناعي:

يعتبر المفكر الأمريكي المعاصر نعوم تشومسكي (1928-.) Noam Chomsky من أهم الفلاسفة الذين اهتموا بمسألة اللغة، اشتهر في هذا الحقل

بنظريته التي مثّلت تحولا جوهريا في البحث اللساني؛ حيث سعى من خلالها إلى إثبات عجز الأنموذج اللساني الذي كان سائدا قبله عن تفسير الظاهرة اللغوية فضلا عن عجزه عن تفسير جوانب أخرى من الذات الإنسانية، فعارض بشدة الاتجاهات التجريبية في دراسة اللغة خاصة التوجه السلوكي، ودافع عن أهمية المعطى الفطري البيولوجي، وقد استفاد كثيرا من الموروث الفلسفي الديكارتي وأخذ عنه قوله بأن اللغة خاصية فريدة يتميز بها البشر دون غيرهم من الكائنات، فأخذ عنه ذلك التمييز الذي وضعه بين الإنسان والآلة (machine)، ويرى أنه «لا يوجد مبرر جدي اليوم لتحدي الرأي الديكارتي القائل بأن القدرة على استخدام الإشارات اللغوية للتعبير عن الأفكار المكونة بحرية تشكل الفارق الحقيقي بين الإنسان والحيوان أو الآلة» (تشومسكي، 2009، صفحة 33)

وتشومسكي يعترف بفضل ديكارت عليه، ويقر بأن جزء مهم من عمله اللغوي المتمثل في النحو التوليدي قد استلهمه من فلسفة ديكارت، خاصة ما يتعلق بالحديث عن مسألة الإرادة الحرة، أي القدرة على الفعل أو التصرف بطريقة أو بأخرى، والقدرة على الكلام دون قيود.

في هذا السياق، أشاد تشومسكي كثيرا بما كتبه العالم إيريك لينبرغ Eric Lenneberg وعمله الأساسي في اللغويات البيولوجية، الذي مثّل عملا ثوريا في ذلك الوقت، وإلى يومنا هذا لا يوجد أي موقف يمكن أن يقوّضه، فدرس لينبرغ كل ما يتعلق بتطور اللغة مع وجود إعاقة لدى الأشخاص، ولغة الصم، واكتشف في ذلك الحين أن الأطفال الصم يخترعون لغة خاصة بهم هي لغة الإشارة ولم يستطع لينبرغ نشر عمله في ذلك الوقت (تشومسكي، 2022، صفحة 11)

وهذا ما يسلط الضوء على مشكلة تعامل الآلة مع اللغة، إن الذكاء الاصطناعي هذه "النشوة التكنولوجية" كما أسماه تشومسكي لا يمكن بأي حال من

الأحوال أن يشمل اللغة البشرية، فعند الحديث عن ميدان التكنولوجيا فنحن بصدد "المحاكاة" أي محاكاة الذكاء البشري، أما الفهم فهو يتعلق بالبشر فقط.

5.3. الذكاء الاصطناعي وهشاشة التفاعل الاجتماعي

منذ ظهور تكنولوجيا الإعلام والاتصال وظهور مواقع التواصل الاجتماعي اختلف مفهوم التواصل مع الآخر، أي بعبارة آخرى، هل التواصل يبقى بالمفهوم التقليدي للمصطلح والذي يعني مثول أو حضور شخص أمام شخص آخر، أم أنه تطور بفعل التكنولوجيا الرقمي ليصبح تواصلا رقميا؟ فهذه الوسائط التكنولوجية باتت تغنينا عن الكثير من الأمور التي كان الإنسان بحاجة إليها فيما مضى، مما دفع بالبعض إلى الحديث عن العزلة في وقت غزت فيه وسائل التواصل الاجتماعي كل تفاصيل حياتنا، فالتكنولوجيا الرقمية اليوم لم تعد عامل مكمّل لحياة الإنسان، بل أصبحت في أغلب الأحيان آلية تدمير لإنسانية الإنسان، فإذا كان أرسطو قديما قد عرّف الإنسان على أنه كائن مدني بطبعه، فإن هذه المعادلة قد تغيرت اليوم وأصبح الإنسان يعيش بمفرده وسط الجماعة، نتيجة للإدمان الكبير على الوسائل التكنولوجية الرقمية أصبح أغلب الأشخاص يدخلون في تصنيف من يمكن وصفهم بـ"نيام متربصون" وهم الأشخاص الذين لا ينامون بشكل كما ينبغي أن يكون النائم، ولكنهم يصابون بالرعب والذعر إذا ابتعدوا قليلا على هواتفهم التي استحالت شاشاتها إلى "مخدر" وهذه ظاهرة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مراحل او خطوات –إن صح التعبير- وهي: التحمل والاضطرار والتعوّد، أي حاجة الشخص إلى زيادة تعاطي الشاشة فيرغب في تحقيق نشوة، أما الاضطرار فهو عدم قدرة الشخص على التوقف عن أخذ جرعة المخدر، إلى أن يصل إلى مرحلة التعود وهو مرحلة خطيرة تتجسد في العبودية الطوعية للشاشة، عبودية فكرية وجسدية، وبالتالي يصبح الأشخاص تحت رحمة شاشة الهاتف

(باتينو، 2021، الصفحات 43-44)

فريدة كافي

ساهم الذكاء الاصطناعي اليوم في إعادة تشكيل مفهوم "التفاعل الاجتماعي"، فهل يصح القول أن الشخص الذي يستخدم وسائل التواصل الاجتماعي بشكل دائم هو الشخص الاجتماعي، أم على العكس من ذلك أن الشخص الذي يبتعد عن مواقع التواصل الاجتماعي ويشارك في الحياة اليومية هو شخص اجتماعي؟ الأمر أخطر بكثير من مجرد قضاء وقت مع مواقع التواصل الاجتماعي، فهذه المنصات أصبحت هي المسؤولة عن كل معلوماتنا ومعارفنا وتصوراتنا، فهي تقوم ببناء علاقتنا بالأشياء الخارجية، أو إعادة تشكيل علاقتنا بها "يتعلق الأمر بخلق واقع يتماشى معنا، بغرض غمرنا أطول وقت ممكن، وبأكثر تكرار ممكن في هذا العالم، هذه الأنظمة الحاسوبية مزودة بمهمة فريدة ومقلقة ألا وهي: إعلان الحقيقة" (باتينو، 2021، صفحة 126)

مع كل اختراع علمي يحققه العقل البشري يزداد تفاؤل الإنسان بمستقبله، لكن التطورات السريعة للذكاء الاصطناعي قلبت المعادلة، بأن زادت مخاوف الإنسان على مستقبله الذي بات لا يعلم عنه الكثير، وأصبح انشغال البشر بالتكنولوجيا الرقمية يغنيهم عن انشغالهم بمشاكلهم الواقعية، فتغيرت علاقة الإنسان بواقعه كما تغيرت علاقته بغيره، فأصبحت علاقات مختزلة غير مكتملة وغير مهمة في كثير من الأحيان، بحيث غدت المنصات الرقمية تحدد أفق تفكيرنا وإطار علاقاتنا، أنها ثورة في بنية العلاقات الاجتماعية، بمثابة بناء عالم آخر موازي للعالم الإنساني ويتفوق عليه من حيث الحضور والأهمية.

أصبحت هذه الأجيال تشبه إلى حد كبير السمكة الحمراء، وأثبتت الدراسات أن مدة التركيز المتواصل للأشخاص اليوم لا تتعدى تسعة ثواني، بعد هذه المدة يتشتت التركيز والانتباه إلا إذا وجد الشخص مثيرا آخر يحفزه على الانتباه مرة آخري، أصبحت الشاشة ذلك السجن الذي لا يغادره تفكيرنا، تسيطر علينا وتتحكم في مستوى تركيزنا ونطاق اهتمامنا، فأصبح ذهننا كذاكرة السمكة الحمراء يدور

حول ذاته، كل يوم تسافر أذهاننا بين أهم المنصات المسيطرة كيوتيوب، السناب شات، الايميلات والبث المباشر، وكل الأخبار الآنية الفورية مهما كان مستوى أهميتها Buzz ونعتقد عن جهل أننا نكتشف عالما جديدا (باتينو، 2021، الصفحات 32-33)

لا ينتبه أغلبية الناس إلى الوقت الذي يقضونه مع هذه الشاشات، تشير الدراسات في مجال "علم النفس الاجتماعي والعيادي" أن قضاء وقت يفوق ثلاثين دقيقة في مواقع التواصل الاجتماعي يصبح غير سليم بالنسبة للصحة النفسية، وأغلبنا يقضي أكثر من هذه المدة، خاصة في انتظار تلك الإشارات على شاشة الهاتف التي تتعلق بالفيسبوك او الايميل او تويتر، فأجيال اليوم هي أجيال الانتقال والتحول بسرعة من حال إلى حال، وهو نوع من العبودية الرقمية الطوعية، وهو مشروع رأسمال رقمي تحركه الخوارزميات، تعمل على اقتصاد الانتباه يسيطر على كل مجالات اهتمامنا ومحيط إدراكنا (باتينو، 2021، الصفحات 33-34)

اقتصاد الانتباه الذي تحدث عنه برونو باتينو هو أخطر ما يواجه الإنسانية، لأنه يهدد بتآكل واندثار ذاكرته، وكما نعرف بالذاكرة أهم ما يميز الإنسان، فأصبح التحدي الآن هل سيستطيع البشر مع هذه التقنيات الرقمية المحافظة على ذاكرتهم، فالإنسان استطاع بناء حضارة لأنه حافظ على ذاكرته، فهي التي تمكنه من فهم العالم والتكيف معه "إن أعظم عقار يمتلكه الإنسان هو ذاكرته، والذاكرة هي العقار الوحيد الذي يسعى المستبدون لامتلاكه، والإشارة إلى الاستبداد هنا تحيلنا إلى المستبد الإنسان والمستبد الآلة، مع وجود نزعة واحدية حلولية لنكون إزاء المستبد الإنسآلي أو المستبد الآلساني" (البريدي، 2023)

فالإنسآلي هو شيء هجين لا هو إنسان يتمتع بكل مبادئ إنسانيته ولا هو آلة غبية، فهو إنسان تجرد من أهم ما يشكل إنسانيته، وهناك الآلساني وهي الآلة التي أصبحت تنوب مناب الإنسان تهدد وجوده وعمله لكنها غير قادرة على تكوين

أحاسيس ومشاعر رغم ذكائها الذي يتطور بين كل لحظة وآخرى، وهذا ما دفع بعض العلماء إلى الحديث عن حلقة تطور للإنسان لم يسبق لها مثيل، وأن تجاوز هذا الشكل من الإنسان ممكن ليحل محله نموذج جديد من الإنسان ونوع جديد من الوجود، ويرى البروفيسور بوستروم أن مصطلح تجاوز الإنسانية يعود إلى الملحد جوليان هكسلي الذي يقول:"أنا أؤمن بتجاوز الإنسانية، بمجرد توفر عدد كاف من الأشخاص الذين يمكنهم حقا أن يقولوا ذلك، سيكون الجنس البشري على عتبة نوع جديد من الوجود، يختلف عن وجودنا كما هو الحال بالنسبة لإنسان بكين، في النهاية سيحقق بوعي مصيرها الحقيقي" (وآخرون، 2023، صفحة 34)

6.الخاتمة

ختاما، يمكن القول أن الذكاء الاصطناعي وإن ظهر مؤخرا وأثار ضجة كبيرة، إلا أنه كفكرة راودت الإنسان منذ زمن، فمنذ قديم الزمان رغب الإنسان في تحقيق رفاهيته وتسخير ما يخدم مصالحه في العالم، طوّر العديد من نماذج الآلات التي سهّلت عليه الكثير من الأمور، لكن اليوم مع الذكاء الاصطناعي لم يعرف الإنسان هل هو سيد العالم لأنه طوّع التكنولوجيا لصالحه، أمه أنه أصبح ضحية ما صنع، لأن هناك اليوم العديد من الدعوات من جهات مختلفة خاصة منها هيئات أخلاقية أصبحت تدعو إلى وضع ضوابط وأخلقة الذكاء الاصطناعي حتى لا يستحيل الوجود الإنساني إلى مجرد مرحلة آيلة إلى الزوال.

تعتبر اللغة من أهم الميادين التي تمثل تحديا واضحا أمام الذكاء الاصطناعي نظرا لارتباطها بالجوانب المهمة من الذات الإنسانية والتي لازالت محل بحث إلى يومنا هذا، فهي ترتبط بالعقل والدماغ والجهاز العصبي والجانب النفسي للإنسان، وهذا ما يخلق صعوبة أمام الآلات التي لا يمكنها القيام بكل هذه العمليات المعقدة، وبالتالي فالذكاء البشري فريد من نوعه لا يمكن تكراره، ورغم أن تشومسكي يقول في هذا الشأن أن كل ما هناك هو محاكاة للذكاء الإنساني وأن الذكاء الاصطناعي مجرد

نشوة تكنولوجية عابرة كما تحدث الاكتشافات العلمية في كل مرة ويعتقد معها الإنسان أنه يعرف كل شيء، إلا أنه يصعب التنبؤ الآن بما يمكن للآلة أن تقدر على فعله، وهل على الإنسان أن يطمئن لهذه النشوة وينتظر زوالها، أم أنه عليه تغيير نظرته إلى المستقبل وتقبل الواقع ومحاولة تطوير منظومة ثقافية تتماشى مع هذه التطورات السريعة.

هناك العديد من النقاشات بشأن توسيع دائرة استخدامات الذكاء الاصطناعي في مجالات متنوعة لا حصر لها، إلا أن هناك من العلماء والمفكرين من يرى فيه مجموعة من المخاطر أكثر من كونه فرصة لحل مشاكل الإنسان، وإذا اعتقدنا مع الاتجاه السلوكي أن اللغة تخضع مثل الظواهر الطبيعية الأخرى لمبدأ المثير والاستجابة، هنا يمكن الحديث عن دور للذكاء الاصطناعي في اللغة لأن التركيز يكون على الجانب المادي من الكلمات فقط دون الاهتمام بمستوى المعنى والدلالة والجانب الذهني، لكن التوجه العقلي والبيولوجي في اللسانيات لا يقرّ بأي فعالية للأنظمة الذكية في فهم اللغة.

أهم المخاطر التي يواجهها الإنسان فعلا هي ما يتعلق بالزوال التدريجي لجانب الإبداع في شخصيته، والتأثير السلبي للتكنولوجيا الرقمية على ذاكرته التي تحتوي على كل ما يتعلق بالحضارة الإنسانية، كما أن الاعتماد الكلي على هذه التقنيات ساهم في التقليل من روح الإبداع لدى الأشخاص واهتمامهم بكل ما هو سريع وجاهز. يمكن القول أن الذكاء الاصطناعي فتح عصرا جديدا لا سيادة فيه للإنسان، أصبحنا نتحدث عن نماذج جديدة من الآلات أو بشر يشبهون الآلات لا يعانون من المشاكل التي تواجه البشر كالشيخوخة والإرهاق والألم والفقدان، ولا يمكن الإفلات من هذه التطورات، فعلى البشرية أن تفكر في حلول تمكنها من تطويع هذه التكنولوجيات الذكية لصالحها، على العالم أن يتوحد وينبّه للخطر الذي يواجهه الإنسان اليوم والذي بات وجوده مهددا، والتفكير أيضا في منظومة ثقافية مواكبة

لهذه التطورات وباستطاعتها التصدي لكل المستجدات علي مستوى الاختراعات العلمية التي لا تكف عن التطور.